أَبِي

إِلَى رُوحِهِ الطَّيِّبَةِ .. فِي ذِكْرَى وَفَاتِه أغسطس ١٩٦٢

وَشَدُّوا عَلَى رَاحَتِي فِي وُجُومْ
وَفي كُلِّ مُقْلَهْ
دُمُوعٌ حَبِيسَهْ
تُغَالِبُ تِلْكَ الْجُفُونَ الْجَرِيحَه
وَتَصْرُخُ خَلْفَ الرُّمُوشِ الْكَسِيحَهْ
فَـآنًـا تَغِيضْ
وَآنًـا تَفِيضْ
بِرَغْمِ الْمُقَاوَمَةِ الْصَّامِدَهْ

* * *

وَكَانَتْ يَدِي رِيشَةً حَائِرَهْ
تُغَالِبُ عَاصِفَةً عَاتِيَهْ
فَتَرْتَدُّ مَهْزُومَةً حَائِرَهْ
كَكُلِّ ضَعِيفٍ
أَمَامَ الْقَوِيّ
كَذَلِكَ كَانَتْ يَدِي يَوْمَهَا
كَذَلِكَ كُنْتُ
أَمَامَ الْقَدَرْ

وَحِينَ أَفَقْتُ إِلَى الْهَمْهَمَات
سَمِعْتُ الْقَرِيبْ
سَمِعْتُ الْغَرِيبْ
يَقُولُ: لِيَرْحَمْ أَبَاكَ الْإِلَهْ
لَقَدْ كَانَ سَمْحَا
لَقَدْ كَانَ شَهْمَا
وَكَانَ كَرِيمًا
أَصِيلَ الْخُؤُولَهْ
عَرِيقَ الرُّجُولَهْ
يَجُوعُ لِيُكْرِمَ ضَيْفًا وَفَدْ
يَثُورُ إِذَا مَا الْقَوِيُّ اسْتَبَدْ

* * *

وَحِينَ انْطَلَقْنَا بِخَطْوٍ وَئِيدْ
نُشَيِّعُهُ لِلْمَقِرِّ الْأَخِيرِ
سَمِعْتُ ابْنَ عَمى
يَقُولُ لِعَمي
لَقَدْ طَارَ بِالنَّعْشِ يَا وَالِدِي
وَكَمْ هَزّ زِنْدِي وَأَعْيَا يَدِي
فَعَمِّي يَطِيرُ
وَنَحْنُ نَسِيرُ

وَشَتّانَ بَيْنَ خُطَانَا وَخَطْوِهْ
وَأَقْبَلَ جَارٌ لَنَا غَسّلَهْ
وَأَعْلَنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَسْأَلَهْ
بِصَوتٍ تَهَدّجْ
وَصَخْرٍ تَلَجْلَجْ
لَقَدْ كَانَ يَضْحَكُ فِي غُسْلِهِ
رَأَيْتُ الْسَّنا لَامَ مِنْ وَجْهِهِ
أَبُوكَ: لِعَيْنِي أَبَانَ الْكَرَامَهْ
وَأَيُّ كَرَامَهْ ! !

* * *

وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَطَعْنَا الْطَّرِيقْ
مِنَ الْبَيْتِ لِلْقَبْرِ
مَا أَقْصَرَهْ
طَرِيقُ الْحَيَاهْ
وَصَافَحْتهُم وَاحِدًا وَاحِدًا
وَعُدْتُ أُبَلِّلُ خَدِّي الْجَرِيحْ
وَرُوحِي الذَّبِيحْ
يَهِيمُ عَلَى الْقَبْرِ فِي لَهْفَهْ
وَيَصْرُخُ مِنْ وَطْأَةِ الْصَّدْمَهْ
فَإِنِّي دَفَنْتُ الْحَنَانَ الْكَبِير

دَفَنْتُ الْفُؤَاد
دَفَنْتُ النَّصِير
دَفَنْتُ التَّجَارِب
دَفَنْتُ الْمَواهِبْ
مَوَاهِبَ .. لَمْ تَلْقَ يَوْمًا مَجَالا
لِتُفْصِحَ عَنْ ذَاتِهَا لِلْوَرَى
وَمَاتَتْ أَمِينَه
وَآلَتْ عَلَى نَفْسِهَا أَنْ تَقُودْ
خُطَانَا إِلَى غَايَةٍ لَمْ تَصِلْهَا
مُنَانَا إِلَى فُرْصَةٍ لَمْ تَنَلْهَا
وَصَامَتْ
بِرَغْمِ الْكِفَاحِ الرَّهِيبْ
عَنِ اللُّقْمَةِ الْحُلَوةِ السَّائِغَهْ
لِتَفْتَحَ بَابَا
لِنَلْقَى كِتَابَا
لِنَقْطَعَ شَوْطَا
بِغَيْرِ صُخُورْ
تُبَعْثِرُ أَحْلَامَنَا فَرَّ الدُّرُوب
أَلَا يَا أَبِي جَلّتِ التَّضْحِيَهْ
وَهَذَا رِثَائِي

مِنَ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْعَاطِفَهْ
رِثَاءٌ ضَنَنْتُ بِهِ مِنْ قَدِيمْ
عَلَى الْعُظَمَاءْ
عَلَى الْوُزَرَاءْ
عَلَى الزُّعَمَاءْ
أَبِي يَا كَبِيرْ
لِأَنَّكَ صُورَةُ شَعْبِي الْكَبِيرْ
بِكُلِّ سِمَاتِهْ
بِكُلِّ مَلَامِحِهِ الْطَّيِّبَهْ
بِكُلِّ إِرَادَاتِهِ الْغَالِيَهْ
هُنَا فِي الْمَزَارِعِ هُنَا فِي الْمَصَانِعْ
أَبِي أَنْتَ خَالِدْ
خُلُودَ الْمَلَايِينِ مِنْ شَعْبِنَا
أَبِي يَا مُجَاهِدْ

* * *